الثورة الفرنسية

تعد سنة 1789 من وجهة نظر كثير من المؤرخين ، نقطة تحول مهمة في التاريخ الاوربي، ففي تلك السنة قامت الثورة الفرنسية التي تركت اثرا بارزا ليس في تاريخ فرنسا وحدها، بل في تاريخ اوربا والعالم فقد انهت تلك الثورة حكم اسرة ال بوربون في فرنسا، وهي احدى الاسر المالكة العتيدة في اوربا، كما دمرت والى الابد النظام الاجتماعي القائم على اساس الطبقية، وفي خارج فرنسا لقي شعار الثورة (الحرية، الاخاء، المساواة) واعلانها حقوق الانسان وتاكيدها مبدا "الامة مصدر السلطات" استجابة سريعة ومتحمسة من شعوب القارة الاوربية التي كانت تعيش ظروفا مماثلة لتلك التي عاشها الشعب الفرنسي قبل الثورة، كما كان تاثير هذه المبادئ محسوسا في اماكن اخرى عديدة خارج القارة الاوربية، وفي الوقت نفسه اثارت هذه الشعارات والمبادئ قلق واستهجان الاسر والطبقات الحاكمة في اوربا، وترتب على كل ذلك سلسلة من الحروب الطويلة والتغييرات السياسية والاجتماعية في اوربا على مدى القرن التاسع عشر، وعلى حد قول احد المؤرخين فان السياسة الاوربية، او العالمية بين سنتي 1789 و 1917 كانت الى حد بعيد صراعا من اجل او ضد مبادئ الثورة الفرنسية.

عوامل قيام الثورة الفرنسية

لعبت عوامل عديدة دورها في قيام الثورة الفرنسية ويمكن تحديدها بالعوامل السياسية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية .

اولاً: العامل السياسي: اتسم نظام الحكم في فرنسا منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر (عصر لويس الرابع عشر) بسيادة الحكم الملكي المطلق المستند الى نظرية الحق الالهي في الحكم والتي تتلخص في ان الملك الفرنسي يستمد سلطته من الله لذلك لا يحق لاحد مراقبته او محاسبته وانما يجب على الجميع طاعته، ولعل عبارة لويس الرابع عشر **(الدولة انا)** تمثل لنا ذلك خير تمثيل، وقد تمسك الملوك من اسرة ال بوربون الذين جاءوا بعد لويس الرابع عشر بهذا النظام وكان اخرهم الملك لويس السادس عشر الذي قامت في عهده الثورة الفرنسية.

لقد منح الحكم المطلق صلاحيات غير محدودة للملك فهو الذي يصدر القوانين ويعلن الحرب والسلم وهو فوق كل القوانين فالاستبداد كان حقا من حقوقه المعترف بها في تقاليد السياسة الفرنسية، ولم تكن هناك مؤسسات برلمانية حقيقيه تستطيع ان تحد من سلطات الملك او تراقب اعماله ، لقد كان نظام الحكم المستبد في فرنسا عقبة تعيق تطور البلاد في كل المجالات، فعلى الصعيد الداخلي عجز النظام المستبد عن تكوين دولة موحدة بشكل تام فعلى الرغم من ان فرنسا كانت دولة موحدة سياسيا الا ان الحدود الكمركية الداخلية كانت تمزقها بمعنى ان هناك رسوما كمركية داخلية بين الاقاليم المختلفة، يضاف الى ذلك التنوع الكبير في القوانين والانظمة والمقاييس والمكاييل بل وفي النظم القضائية والادارية بين المقاطعات المختلفة، وكان البلاط الفرنسي مثالا صارخا للتعسف ولسوء الاستغلال، فاي شخص له علاقة بالسلطات العليا لم يكن من الصعب عليه الحصول على اوامر ملكية سرية تعرف بـ(الرسائل المختومة) يستطيع استخدامها في القاء القبض على اي شخص وسجنه دون تحقيق او محاكمة حتى لو كان ذلك الشخص بريئا، واذا كان الحكم المطلق مقبولا في السابق في عهد قوة ملوك ال بوربون ، فانه لم يعد كذلك قبيل الثورة الفرنسية ، اذ كان القرن الثامن عشر عصر العقل والاستنارة ، فضلا عن وجود اشكال ارقى من انظمة الحكم كانت مثار اعجاب الكثير من الفرنسيين، ففي بريطانيا كانت الملكية مقيدة بدستور ينص على حد معين من المشاركة الشعبية في الحكم من خلال البرلمان، وفي الولايات المتحدة الامريكية التي انتصرت فيها الثورة ضد

بريطانيا بفضل المساعدة الفرنسية، تبنت الجمهورية الجديدة المبادئ الديمقراطية، وكان لنجاح الثورة الامريكية اثره الفكري والسياسي في تدعيم الشعارات التي نادت بها فيما بعد الثورة الفرنسية.

من جهة اخرى كان هناك تذمر واستياء شعبي من الملك لويس السادس عشر الذي قامت في عهده الثورة الفرنسية، فهو رغم طيبته كان يفتقر الى صفات رجل الدولة، ولعبت زوجته الاميرة النمساوية ماري انطوانيت دورا كبيرا في اضعاف مكانته الشعبيه من خلال اشتراكها في المؤامرات لعزل وتعيين الوزراء فضلا عن ذلك كان الشعب الفرنسي يرى في ماري انطوانيت عدوة لفرنسا لمجرد انها نمساوية الاصل، وكان الفرنسيون يشيرون اليها باسم (المراة النمساوية على سبيل الازدراء)، ولقد كانت الكراهية الشعبية للنمسا شديدة على اعتبار انها المسؤولة عن معظم الكوارث العسكرية التي حلت بفرنسا في القرن الثامن عشر .

لويس السادس عشر: تولى حكم فرنسا سنة 1774 قامت في عهدة الثورة الفرنسية سنة 1789 اشتهر بأنه كان خجولا وضعيفا تجاه المحيطين به في البلاط وكان طوال الوقت إما منشغلا بالصيد أو منزويا في مكتبته أو مشغله اليدوي وقد اعدم بالمقصلة سنة 1793 في ميدان الثورة

ماري انطوانيت: ملكة فرنسا وزوجة لويس السادس عشر، وكان اصلها النمساوي وبالا عليها وعلى زوجها، وكان الفرنسيون يرمزون اليها باسم المراة النمساوية على سبيل الازدراء، وتنسب لها المقولة المشهورة "إذا لم يجدو الخبز فليأكلوا البسكويت رغم أنه لا يوجد دليل على ذلك وأن الذي ذكر هذه العبارة هو جان جاك روسو، وقد اعدمت ماري انطوانيت بالمقصلة في 16 تشرين الاول 1793.

ثانياً: العامل الاجتماعي : ويقصد بها نظام الطبقات اذ كان المجتمع الفرنسي مقسما الى ثلاث طبقات ، كانت الطبقة الاولى تمثل **طبقة النبلاء** الذين يحيطون بالملك ويعيشون الى جانبه، وهم الذين يدافعون عن النظام الملكي، لما يتمعون به من امتيازات كثيرة، اذ كان هؤلاء يمتلكون خمس الاراضي الزراعية الصالحة للزراعة في فرنسا، ولهم الحق وحدهم في شغل المناصب العليا في الجيش والادارة، وكانوا معفيين من دفع الضرائب، على ان طبقة النبلاء لم تكن موحدة، فقد كان بعض النبلاء متاثرين بالفكر الحديث وينتقدون مساوئ النظام القديم، ووقف بعضهم الى جانب عامة الشعب الفرنسي عندما قامت الثورة .

اما الطبقة الثانية فهي **طبقة رجال الدين(الاكليروس)**[1] الذين كانوا يتمتعون بالجاه والثراء ويحتكرون موارد الكنيسة التي كانت تمتلك مساحات شاسعة من الاراضي الزراعية وتدر عليهم موارد مالية ضخمة، بلغت حصيلتها في اواخر القرن الثامن عشر 200 مليون فرنك ذهبي سنويا، وفي الوقت نفسه كانت هذه الطبقة معفية من دفع الضرائب الحكومية، ويجب التمييز هنا بين كبار رجال الدين، واغلبهم من اصول نبيلة ايضا، وبين صغار القساوسة الذين كانوا ناقمين على كبار رجال الدين لانفرادهم بالجاه والثروة، وظهرت بين القساوسة فئة كبيرة تدعوا الى الاصلاح والقضاء على نظام الامتيازات، ووقف بعضهم الى جانب الشعب الفرنسي خلال الثورة ومنهم الاب سييز.

اما الطبقة الثالثة فهي **الطبقة العامة:** وتشمل عامة الشعب الفرنسي، فلاحين وعمال وحرفيين وتشكل اوسع طبقة في المجتمع اذ كان يبلغ تعدادها عند قيام الثورة 25 مليون نسمة بينما كان عدد افراد الطبقتين الاخريين لا يتجاوز المليون، وكانت الطبقة العامة محرومة من كافة الامتيازات وتقع عليها اعباء دفع الضرائب الكثيرة للدولة والكنيسة والنبلاء، ويقع على عاتق هذه الطبقة ايضا ارسال ابنائها الى الحروب عند اندلاعها والقيام باعمال السخرة مثل تعبيد الطرق او انشاء طرق جديدة او اي خدمات اخرى تقوم بها الدولة، وقد انفردت فئة قليلة من ابناء الطبقة الثالثة بوضع مالي اقتصادي معقول وعرفت هذه الفئة باسم البرجوازية، وهي فئة متنورة من رجال الاقتصاد والتجار والمحامين والاطباء والاساتذة وكان لها دور جوهري في ادارة شؤون البلاد الاقتصادية، ولكن الحال كان معاكسا فيما يخص دورهم في الدولة ، فقد كانت الوظائف العليا مغلقة في وجوههم ، بل ان الدولة حظرت على ابنائهم منذ سنة 1781 الحصول على رتبة ضابط في الجيش الفرنسي، وبدات هذه الفئة تطرح قضية اعادة توزيع السلطة السياسية في فرنسا توزيعا ينسجم مع دورها في الاقتصاد والمجتمع الفرنسي، وهذا يفسر لنا ايضا تاثر هذه الفئة بكتابات المفكرين الفرنسيين الموجهة ضد النظام السياسي والاجتماعي القائم في فرنسا، واذا كانت مظالم الفئة البرجوازية اجتماعية واهتمامها محصورا في قضية اعادة توزيع السلطة السياسية فان الامر لم يكن كذلك بالنسبة للعمال والفلاحين الذين كانوا يعيشون في بؤس وشقاء شديدين وكانوا عرضة للمجاعة بين فترة واخرى اذ لم يكن

[1] الاكليروس : تعني الجهاز الديني باكمله من البابا الى المبشر في الكنيسة

الحصول على الخبز مضمونا دائما رغم كل ثروة فرنسا الزراعية ونتيجة لهذا العوز والفقر لعب العمال والفلاحون دورا مهما في الثورة الفرنسية وبصورة خاصة في الادوار الاولى منها.

ثالثاً: العامل الفكري: كانت فرنسا في القرن الثامن عشر تحتل المكانة الاولى في عالم الفكر، فقد برز فيها عدد من المفكرين اللامعين الذين اناروا اذهان الناس وحرورا عقولهم ونبهوهم الى المساوئ القائمة في المجتمع ونظام الحكم ودعوهم الى الثورة على هذه المساوئ والقضاء عليها وتغير نظام الحكم بما يكفل حياة افضل لجماهير الشعب واول هؤلاء المفكرين هو : **فولتير** وهو كاتب ساخر عرف عنه نقده اللاذع وسخريته الشديدة من الاوضاع البالية في فرنسا كان فولتير ينتقد بشدة في كتاباته القوانين الفرنسية الجائرة ونظام الظرائب والامتيازات كما وجه نقدا قويا الى اراء الكنيسة وافعالها ، وكان فولتير يدعو الى الحكم الملكي المقيد بدستور.

ومونتسكيو : الذي اشتهر بكتابه روح القوانين الصادر في 1748 الذي دعا فيه الى اشتراك الملكية مع النبلاء ورجال الدين والعامة في حكم البلاد على غرار نظام الحكم في بريطانيا، اي النظام الملكي المقيد الذي يعد ارقى اشكال الحكومات في نظر مونتسكيو، وكان مونتسكيو يرى ان فصل السلطات الثلاث، التشريعية والتنفيذية والقضائية،ومراقبة بعضها للبعض الاخر هو الضمان الاساس ضد سوء الاستغلال.

اما **جان جاك روسو** فقد اشتهر بكتابه العقد الاجتماعي الصادر سنة 1762، وقد بدا كتابه بعبارته الشهير (يولد الانسان حرا وهو مكبل بالاغلال في كل مكان)، واشار روسو في كتابه ان الشعب هو الذي يفوض السلطة للحاكم بشروط معينة، وان الشعب له الحق في سحب ذلك التفويض اذا ما اخل الملك بوظائفه او بالشروط المتعاقد عليها بين الشعب والحاكم، واكد روسو ان كل حاكم لا يستند الى الشعب في حكمه يعتبر حاكما غير شرعي، كما اكد على المساواة المطلقة بين افراد الشعب، وكان لهذا الكتاب تاثير خطير في نفوس الفرنسيين حتى لقب بانجيل الثورة .

والى جانب هؤلاء الثلاثة كانت هناك جماعة اخرى ذات تاثير كبير بين معاصريها وكانت لها صلة باعمال الثورة الفرنسية، ونعني بهذه الجماعة **الاقتصاديين او الطبيعيين** الذين تاثروا الى حد بعيد بكتابات الاقتصادي الانكليزي الشهير ادم سميث صاحب كتاب ثروة الامم، وابرز اراء هذه الجماعة، هي ان الارض بما فيها من المعادن والانتاج الزراعي هي المصدر الاساس للثروة ، وان

الصناع والتجار لا ينتجون الثروة بل يحولونها او يغيرونها ولهذا فان تقييد التجارة والصناعة غير طبيعي وضد مصلحة البلد الاقتصادية، وعليه يجب تغيير نظام الضرائب في فرنسا وحصرها في ضريبة الارض فقط وطالبوا بازالة القيود المفروضة على الصناعة والتجارة، ومن اشهر هؤلاء **الكونت دي ميرابو** الذي كان كاتبا وصحفيا ثوريا وخطيبا مفوها ولقب بخطيب الثورة.

رابعاً: العامل الاقتصادي: يعتبر العامل الاقتصادي من ابرز العوامل الرئيسية التي لعبت دورا كبيرا ومهما في تاجيج الثورة الفرنسية ، فعلى مستوى الدولة كانت الخزينة العامة تعاني من عجز كبير وان اسباب هذا العجز لا تعود في حقيقتها الى تدهور في اقتصاديات البلاد فقد كانت الزراعة والصناعة مزدهرتين كما كانت التجارة نشطة جدا بل كانت تعود الى فشل الدولة في موازنة مواردها مع نفقاتها ويعود ذلك بالدرجة الاولى الى سياسة الامتيازات والاعفاءات الضريبية التي كانت فرنسا تطبقها حيث كانت طبقة النبلاء ورجال الدين التي تملك الثروة معفاة من جميع انواع الضرائب مما حرم الخزانة الفرنسية من مصدر مهم من مصادر الدخل فضلا عن حياة الترف والبذخ التي كان يعيش فيها البلاط الفرنسي، ومما زاد من تفاقم الوضع الاقتصادي سوءا مشاركة فرنسا في حرب الاستقلال الامريكية ضد بريطانيا والتي ادت الى استنزاف الكثير من اموال الخزانة الفرنسية ، وبنظرة سريعة الى موجودات الخزينة العامة للسنة التي سبقت الثورة نجد ان نفقات الدولة كانت 629 مليون فرنك فرنسي بينما كانت الواردات تزيد قليلا على 503 مليون فرنك اي بعجز قدره 126 مليون فرنك والى جانب تدهور حالة الخزينة فان الاسعار ارتفعت خلال السنوات التي سبقت الثورة بنسبة 65% وقد تفاقمت الازمة الاقتصادية سنة 1788عندما تعرضت البلاد الى المجاعة ولم يعد بامكان الفلاحين والعمال الحصول على الخبز مما ادى الى استياء كبير بين صفوفهم .

مجلس طبقات الامة وتاسيس الجمعية الوطنية

جرت في عهد لويس السادس عشر عدة محاولات لاصلاح الوضع المالي في البلاد كان ابرزها المحاولات التي قام بها وزراء المالية تيركو ونيكر ألا ان هذه المحاولات فشلت نتيجة لمعارضة طبقة النبلاء ورجال الدين لمشاريع الاصلاح، وكانت المحاولة الاصلاحية الاخيرة هي التي قام بها الوزير كالون، وكان برنامج كالون الاصلاحي يتضمن فرض ضرائب على طبقة النبلاء ورجال الدين والعمل على هدم الحواجز والحدود الكمركية بين المقاطعات الفرنسية لتنشيط التجارة الداخلية وتسهيل انتقال البضائع والسلع، ولاقناع النبلاء ورجال الدين بقبول اصلاحاته دعا مجلس الاعيان للاجتماع

لهذا الغرض، وكان مجلس الاعيان يتالف من مجموعة من الرجال يستدعيهم الملك وقتما شاء لابداء المشورة في اي موضوع يطرحه عليهم، وهم لا يشكلون مجلسا دستوريا وليست لهم صفة نيابية وينتسبون بالاساس الى طبقة النبلاء ورجال الدين، اجتمع مجلس الاعيان عام 1787 ورفض برنامج الاصلاح الذي قدمه كالون واشاروا بوجوب دعوة مجلس طبقات الامة الى الانعقاد باعتباره وحده القادر على معالجة احتياجات فرنسا، وامام خطورة الوضع المالي والاقتصادي وافق الملك لويس السادس في اب 1788 على دعوة مجلس طبقات الامة للانعقاد

كان مجلس طبقات الامة مؤسسة قديمة يرجع تاريخها الى عام 1302 وكان يجتمع في اوقات غير منتظمة حتى عام 1614 عندما اهمل ملوك فرنسا دعوته الى الانعقاد حتى عام 1788 ، ويضم المجلس ثلاث هيئات منتخبة تمثل طبقة رجال الدين وطبقة النبلاء والطبقة العامة، لقد اراد النبلاء ورجال الدين عقد مجلس الطبقات لانهم كانوا يعتقدون انهم سيمنعون اي اصلاح بواسطته اذ ان آلية التصويت المتبعة في مجلس الطبقات هي ان يجتمع ممثلو كل طبقة في قاعة منفصلة ويصوتون كوحدة منفصلة ، وتشريع اي قانون يتطلب تصويت اثنتين من هذه الطبقات ، ولما كانت مصالح رجال الدين والنبلاء واحدة تقريبا فان الغلبة كانت دائما لراي هاتين الطبقتين، من جانب اخر فان الفئة البرجوازية وافقت على عقد مجلس الطبقات املا في الحصول على بعض الحريات الديمقراطية والحق في المشاركة بشؤون الحكم ، كما رحب العمال والفلاحين بانعقاد المجلس املا في اتخاذ بعض الاجراءات الكفيلة بتحسين اوضاعهم المعاشية.

جرت انتخابات مجلس طبقات الامة في شتاء 1788 – 1789 في انحاء فرنسا وتالف المجلس الجديد من 1200 عضوا منهم 600 يمثلون الطبقة العامة و 600 يمثلون طبقة رجال الدين والنبلاء بالتساوي، وطبقا للتقاليد القديمة في فرنسا فقد حرر الناخبون في جميع انحاء فرنسا عرائض سلموها الى اعضاء المجلس الجديد كانت تفيض بالشكوى من النظام الاقتصادي السائد وتطالب بالغاء الامتيازات وتوزيع الضرائب على الجميع بالتساوي بغض النظر عن الانتماء الطبقي.

افتتح الملك لويس السادس عشر مجلس الطبقات يوم 5 ايار 1789 في قصر فرساي بالقاء خطاب مبهم لم يشر فيه الى الاصلاحات التي طالب بها الشعب واكتفى بالاشارة الى الازمة المالية

الكبيرة التي تعاني منها البلاد وطلب منهم المساعدة في معالجة الامور، كما صمت الملك عامدا عن ذكر طريقة التصويت وهي اكثر المسائل الحاحا في تلك اللحظة فقد اثارت هذه المسالة خلافا حادا بين نواب الطبقة الثالثة ونواب النبلاء ورجال الدين، فقد رفض نواب الطبقة الثالثة الية التصويت القديمة وطالبوا باجتماع ممثلي الطبقات الثلاث في قاعة واحدة وان يكون التصويت **(حسب الراس)** اي يكون لكل عضو في المجلس صوت واحد، وبهذه الطريقة سيتمكن نواب الطبقة العامة من تحقيق اهدافهم، وبعبارة اخرى فان هذه الطريقة في التصويت ستضمن للطبقة الثالثة الحصول على الاغلبية اذ ان عدد من النبلاء ورجال الدين كانوا متعاطفين مع مطالب الطبقة الثالثة، وقد اصر نواب الطبقة الثالثة على موقفهم هذا بحيث رفضوا التعاون مع الحكومة باي شكل من الاشكال حتى تستجيب لمطلبهم، ومن ناحية اخرى ادرك الملك ابعاد هذا الاقتراح وما ينطوي عليه من تهديد لسلطات الملكية المطلقة، فرفضه وتمسك بطريقة التصويت التقليدية، كما تمسك رجال الدين والنبلاء بطريقة التصويت القديمة وذلك لابقاء سيطرتهم على المجلس وطال النقاش حول الموضوع في مجلس الطبقات اكثر من شهر، واعتبر نواب الطبقة الثالثة قضية التصويت على اساس ان لكل نائب صوت هي المدخل الى الاصلاح الحقيقي.

في هذه الاثناء كان حماس الشعب يزداد يوما بعد اخر وكان العامة ينتظرون من مجلس الطبقات ان يتخذ الاجراءات الكفيلة بتحسين اوضاعهم المعاشية الامر الذي عزز من موقف نواب الطبقة الثالثة وقدم احدهم وهو الاب سييز في 10 حزيران 1789 اقتراحا تضمن ابلاغ نواب النبلاء ورجال الدين بان نواب الطبقة الثالثة سيجتمعون لوحدهم ويبداون بالعمل اذا رفض اولئك الانضمام اليهم والاجتماع معهم في قاعة واحدة ، وباشر نواب الطبقة الثالثة فعلا باتخاذ الترتيبات اللازمة لذلك، ثم اعلنوا في 17 حزيران 1789 بانهم يمثلون اغلبية الامة واطلقوا على انفسهم اسم **الجمعية الوطنية،** واعلن نواب الطبقة الثالثة عن ترحيبهم بمن ينظم اليهم من ممثلي الطبقتين الاخريين النبلاء ورجال الدين، لقد كان ذلك قرارا جريئا حقا لانه كان يعني ان السلطة التشريعية العليا في البلاد قد اصبحت رغم الملك والطبقتين صاحبتي الامتيازات بيد نواب الطبقة الثالثة الذين اتخذوا لنفسهم حق تمثيل الشعب والتكلم باسمه.

حاول الملك عرقلة اجتماع الجمعية الوطنية، وفي 20 حزيران جاء النواب كالعادة الى باب القصر الذي كانت تجرى فيه جلسات المجلس لكنهم وجدوه مغلقا بامر الملك، وكان ذلك ايذانا بان الحكومة التي اخافها قرار 17 حزيران قد بدات تعمل للتخلص من الجمعية الوطنية، عند ذلك انتقل نواب الطبقة الثالثة يصاحبهم عدد كبير من افراد الشعب العاديين الذين كانوا ياتون الى فرساي باستمرار الى ملعب للتنس مجاور لقصر فرساي واجتمعوا فيه في الوقت الذي كان فيه افراد الشعب يحيطون ببناية الملعب بل ودخل قسم منهم الى مكان الاجتماع ، وقد اتخذت الجمعية الوطنية في اجتماعها هذا قرارا هاما حيث اقسم النواب بانهم سيواصلون اجتماعاتهم مهما كانت الظروف حتى يضعوا دستورا لفرنسا، وبذلك تحول مجلس طبقات الامة عن هدفه الاساس لمعالجة مسالة الضرائب واصبح جمعية وطنية تعمل لوضع دستور يلبي حاجات الشعب.

اصر لويس السادس عشر على موقفه ودعا نواب الطبقات الثلاث الى عقد جلسة ملكية يوم 23 حزيران 1789، وكان على المجلس حسب التقاليد القديمة ان ينفذ ما يطلبه الملك في مثل هذه الجلسة، ومع ان الملك اعلن في هذه الجلسة عن العديد من الاصلاحات المهمة في الشؤون المالية والادارية لكنه اصر من ناحية اخرى على ان تظل طريقة التصويت القديمة هي المعتمدة، كما ابلغهم رفضه للقرار الذي اتخذ بتحويل المجلس الى جمعية وطنية ثم خرج الملك وتبعه النبلاء واغلب رجال الدين، الا ان نواب الطبقة الثالثة بقوا في اماكنهم، فجاءهم رئيس تشريفات الملك يحمل اليهم امر لويس السادس عشر بمغادرة القاعة، وهنا ظهرت شخصية ميرابو الذي قال عبارته الشهيرة " نحن هنا بارداة الشعب ولن نبرح الا على رؤوس الحراب" ، ولم تمض ايام قلائل حتى انظم العديد من نواب رجال الدين وبعض نواب النبلاء الى الجمعية الوطنية

سقوط سجن الباستيل

حاول لويس السادس عشر في بداية تموز 1789 استخدام القوة ضد الجمعية الوطنية ونقل لهذا الغرض قسما كبيرا من جيشه من الجبهة الشرقية الى ضواحي باريس وفرساي ، وقد رد سكان باريس على هذا التهديد بمظاهرات صاخبة، هاجم فيها المتظاهرون مخازن الاسلحة واستولوا على كميات كبيرة من الاسلحة المخزنة هناك، وبذلك اصبحت باريس تملك بعض وسائل الدفاع عن نفسها، ثم انضمت قوات الحرس الفرنسي وهم جنود نظاميين كانوا يعسكرون في باريس الى اهالي باريس

الثائرين، وفي 14 تموز 1789 هاجم الثوار سجن الباستيل واستولوا عليه واطلقوا سراح السجناء، ولا يزال الفرنسيون يحتفلون بيوم 14 تموز حتى الان ويعد العيد الوطني لفرنسا واطلق عليه الفرنسيون يوم الحرية ، لقد كان سقوط الباستيل عملا ذا مغزى سياسي كبير لعدة اسباب منها.

1- لقد اثبت سقوط الباستيل ان الشعب يساند الجمعية لا الملك .

2- ساهم سقوط الباستيل في تفشي روح الثورة في انحاء فرنسا واخذ الناس في الاقاليم المختلفة يهاجمون قلاع النبلاء وقصورهم ويحرقون ما فيها من سجلات تنص على حقوق النبلاء الاقطاعية فهرب عدد كبير منهم الى خارج البلاد، كما هاجموا في مناطق اخرى الاديرة ومساكن الاساقفة ونهبوها

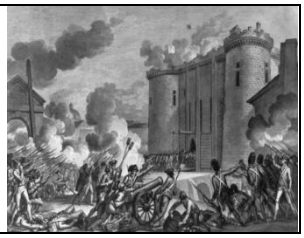

الباستيل : قلعة اتخذت سجنا وكانت ترمز للحكم الاقطاعي الملكي المطلق ورمزا للاستبداد ، وقد شرع في بنائها في باريس في عهد شارل الخامس ودمرت في 14 حزيران 1789 من قبل المتظاهرين ايام الثورة الفرنسية.

بعد سقوط الباستيل تشكلت حكومة محلية جديدة في باريس اطلق عليها اسم كومونة باريس ودعم هذه الحكومة حرس وطني بلغ تعداده 48000 الف متطوع، واسندت قيادة هذا الحرس الى احد النبلاء الاحرار وهو **دي لافاييت**، اما لويس السادس عشر فقد شعر بعد سقوط الباستيل بخطورة الوضع فسحب جيوشه فورا ، ثم زار العاصمة باريس واثنى على منجزاتها وحمل علم الثورة المثلث الالوان الاحمر والازرق وبينهما اللون الابيض وقد جمع هذا العلم بين فرنسا القديمة وفرنسا الجديدة وهذه الالوان اصبحت الوان العلم الفرنسي الجديد، الا ان الملك لم يكن جادا فيما اظهره من مشاعر تجاه ما حدث في باريس، فقد حاول مجددا في بداية تشرين الاول 1789 الاستعانة بالجيش لقمع الثورة ، واستدعيت لهذا الغرض **حامية الفلاندز** التي تتالف في اغلبيتها من جنود غير فرنسيين واقيمت لها وليمة ضخمة في فرساي تميزت بالبذخ والاسراف والقيت خلال الوليمة خطب حماسية متطرفة في تاييد الملكية فعززت الراي القائل بان البلاط يدبر ضربة لباريس وراحت العامة تطالب بانتقال الملك للاقامة في باريس، وفي يوم 5 تشرين الاول 1789 زحفت جموع الشعب الى فرساي

وتمكن المتظاهرون من دخول القصر الملكي فجر يوم 6 تشرين الاول بعد معارك دامية مع حامية القصر فاضطر الملك الى ان يعلن بانه سيغادر فرساي التي اقترن اسمها اقترانا وثيقا بامجاد الملكية الفرنسية، وقد غادرها بالفعل عصر يوم 6 تشرين الاول واستقر في قصر التويلري في باريس، كما انتقلت الجمعية الوطنية الى باريس، لقد كان لاحداث 5-6 تشرين الاول 1789 اهمية كبيرة فقد قضت على الخطط التي كانت تهدف الى حل الجمعية الوطنية والقضاء على الثورة واجبرت الملك على القدوم الى باريس ليصبح تحت رقابة الشعب المباشرة .

اعمال الجمعية الوطنية قبل اعلان الدستور

لم يكن موقف الملك المؤيد للثورة كافيا لامتصاص نقمة الجماهير الغاضبة وكان الجميع يشعرون بضرورة القيام باعمال اكثر جدية لتهدئة الاوضاع في المقاطعات الثائرة فاتخذت الجمعية الوطنية القرارت التالية

اولاً: انهاء النظام الاقطاعي في فرنسا وذلك بالغاء جميع الامتيازات التي كانت تتمتع بها طبقتا النبلاء ورجال الدين، واعلان المساواة التامة بين جميع المواطنين في الحصول على الوظائف العامة والغاء اعمال السخرة وضريبة العشر التي كانت تدفع للكنيسة.

ثانياً: اعلان لائحة حقوق الانسان التي ابرزت فيها بشكل واضح الحقوق الاساسية للانسان وابرزها ان الناس يولدون احرارا ويظلون احرارا متساوين في الحقوق وان الحرية ومقاومة الظلم حقوق انسانية طبيعية لا يمكن انتزاعها وان الشعب مصدر السلطات والملكية الخاصة حق مقدس لا يمكن المساس به ، لقد كان اعلان لائحة حقوق الانسان بالنسبة الى ذلك العصر وثيقة خطيرة ذات اهمية ثورية كبيرة ذلك ان مبادئ الحرية والمساواة والاخاء وسيادة الشعب التي اعلنتها هذه الوثيقة في عصر يسود فيه الجور الاقطاعي كان لها اثر كبير على الناس ، وقد ظلت هذه الوثيقة والمبادئ التي تضمنتها ولسنوات طويلة بعد ذلك ميثاقا للحركة الثورية في اوربا وشعارا لدعاة الاصلاح فيها .

ثالثا: من اجل التغلب على الازمة المالية قررت الجمعية الوطنية مصادرة املاك الكنيسة (التي تقدر من 2 الى 3 مليار من الفرنكات الفرنسية) لمصلحة الدولة ، لكن الجمعية الوطنية واجهت

مشكلة نظامية في مصادرة املاك الكنيسة ذلك ان لائحة حقوق الانسان قد نصت على حق التملك وحمايته، وقد خرجت الجمعية من هذا المازق بان اعتبرت الكنيسة حامية للاراضي التي تسيطر عليها وليست مالكة لها، لان تلك الاراضي هي ملك الشعب، وهكذا صدر قانون تجريد الكنيسة من ممتلكاتها في 2 تشرين الثاني 1789، ثم اصدرت الجمعية الوطنية (الدستور المدني لرجال الدين) والذي اعطى للحكومة الفرنسية حق تعيين كبار رجال الدين بعد ان كان ذلك من حق البابا في روما، وان تتولى الحكومة الفرنسية بنفسها الانفاق على الكنيسة ودفع رواتب رجال الدين، وهذا يعني قطع العلاقة بين الكنيسة الفرنسية والبابا في روما واصبحت تبعيتهم للبابا تبعية اسمية ، وقد احتج على هذه الاجراءات عدد من رجال الدين الذين فضلوا الهجرة الى خارج فرنسا كما احتج البابا بشدة على اجراءات الجمعية هذه واصدر قرار الحرمان بحق كل رجل دين يقبل بالدستو المدني.

محاولة هروب الملك لويس السادس عشر

لقد ادى قرار الحرمان الذي اصدره البابا الى شعور لويس السادس عشر الذي كان متدينا بالذنب من جراء صدور هذا الدستور واعتبر نفسه مسؤولا عن ذلك وان تعاونه مع الجمعية الوطنية في هذا المجال يتعارض مع ايمانه وولائه للكاثوليكية، فقرر الهرب من باريس مع عائلته، على أمل العودة الى فرنسا مع الجيش الملكي المرابط على الحدود الشمالية الشرقية لقمع الثورة، كما كان يريد الاتصال بالنمسا لمساعدته ايضا، ونسق لويس السادس عشر عملية هروبه مع النبلاء المهاجرين خارج فرنسا، فخرج سرا ليلة 20– 21 حزيران 1791 في عربة مقفلة من باريس ونجحت خطة الهروب في البداية حتى وصل الى مدينة (فارين) حيث اكتشف امره فاعيد وعائلته الى باريس وسط مظاهر الاهانة والازدراء، وقد اثار نبأ هروب الملك الانزعاج في باريس، سيما وانه ترك خطابا اعلن فيه عدم موافقته على جميع الاجراءات التي اتخذتها الجمعية الوطنية، ومن هنا اقترح البعض الغاء الملكية واقامة الجمهورية ونادى البعض بخلع اسرة ال بوربون واسناد العرش لاسرة اخرى، ولكن الاغلبية في الجمعية الوطنية قررت وقف الملك لويس السادس عشر عن ممارسة اعماله ريثما يتم اعلان الدستور، فان اقره لويس السادس عشر فسيبقى ملكا على البلاد وان رفضه فسيتم خلعه وتقوم الجمعية باختيار من يخلفه .

دستور عام 1791

انتهت الجمعية الوطنية في اواخر صيف 1791 من وضع دستور للبلاد واقر هذا الدستور في 3 ايلول 1791، ووافق عليه الملك لويس السادس عشر واقسم اليمين على احترامه وصيانه بنوده، وقد ابقى الدستور على النظام الملكي مع تحديد سلطات الملك اما اهم المبادئ التي تضمنها الدستور الفرنسي الجديد فهي :

1- الامة هي المصدر الاساسي للسلطة ، وتمارسها من خلال الهيئات المنتخبة
2- الفصل بين السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية
3- السلطة التنفيذية يراسها الملك وله الحق في رئاسة الجيوش البرية والبحرية والادارة الخارجية وحق الاعتراض على بعض القوانين والتشريعات.
4- السلطة التشريعية تمارسها الجمعية التشريعية المؤلفة من 745 عضوا وينتخب اعضاؤها لمدة سنتين من قبل الشعب، واعطيت الجمعية التشريعية سلطات واسعة في مجال وضع القوانين ، وانيطت بها وحدها سلطة فرض الضرائب والسماح بجبايتها.

بعد وضع الدستور اعلنت الجمعية الوطنية ان مهمتها قد انتهت، وقررت قبل انتهاء عملها منع اعضائها من ترشيح انفسهم للجمعية التشريعية ايثارا منهم لغيرهم، وكان لهذا القرار اثاره السلبية، فقد حرمت الجمعية التشريعية من اعظم رجال فرنسا كفاءة وحزما وخبرة ، وامتلأت بشباب حديثي العهد بالسياسة وشؤون الدولة .

الجمعية التشريعية

انعقدت الجمعية التشريعية لاول مرة في 1 تشرين الاول 1791 وكانت تضم ثلاث فئات ، هي فئة **المحافظين او اليمينين** وكان هؤلاء من دعاة النظام الملكي المقيد بدستور ويدعون الى التمسك بدستور 1791 ، ويتزعمهم لافاييت قائد الحرس الوطني، وقد عرف هؤلاء باسم (الفويان) نسبة الى دير قديم يحمل هذا الاسم كانوا يجتمعون فيه، اما **الفئة الثانية** فهم المتطرفون او اليساريون ، وكانت هذه الفئة مناهضة للملكية وتدعو الى اقامة نظام جمهوري في فرنسا، وتضم هذه الفئة

جماعتين عرفت الاولى باسم (الجيروندیين) لان اغلب زعمائها كانوا من اقليم جيروند، وعرفت الثانية باسم (اليعاقبة) نسبة الى دار قديمة للفئة الدينية المعروفة بهذا الاسم اتخذته ناديا لها، ومن ابرز زعماء اليعاقبة دانتون وروبسبير ، اما **الفئة الثالثة** في الجمعية التشريعية فهي فئة المستقلين التي لا تتبع اية قيادة سياسية ويقفون دائما مع الاقوى، وقد استمرت الجمعية التشريعية حوالي سنة واحدة واجهت خلالها مشكلتين، الاولى هي مشكلة انصار النظام القديم من النبلاء ورجال الدين الذين تركوا البلاد وتجمعوا على طول الحدود الشمالية والشرقية منها، وبصورة خاصة في مدينة كوبلنتس على نهر الراين تحت زعامة كونت ارتوا الاخ الاصغر للملك لويس السادس عشر، واخذوا يحرضون ملوك اوربا والراي العام فيها ضد الثورة، اما المشكلة الثانية فهي مشكلة الحرب الخارجية التي كرست لها الجمعية التشريعية جل اهتمامها.

لقد نظرت الاسر والطبقات الحاكمة في اوربا بقلق الى الثورة الفرنسية، فقد كان من شان مبادئها ان تقوض اسس حكمهم ايضا، ذلك ان اوضاع الدول الاوربية، باستثناء بريطانيا، كانت مشابهة لاوضاع فرنسا قبل الثورة، وفضلا عن ذلك كانت لبعض الاسر الحاكمة اسباب خاصة للوقوف ضد الثورة الفرنسية، فقد كان ال بوربون الذين يحكمون اسبانيا والصقليتين (نابولي وصقلية) مرتبطين برابطة الدم مع الاسرة المالكة في فرنسا، وبالتالي فان اي انتقاص من شان ال بوربون في فرنسا يؤثر في مكانة ال بوربون في اسبانيا والصقليتين تاثيرا سيئا، اما ال هبسبرك، الاسرة الحاكمة في النمسا، فقد كانوا مرتبطين بعلاقة مصاهرة مع اسرة ال بوربون في فرنسا من خلال زواج ماري انطوانيت بالملك لويس السادس عشر، وبالتالي فان الثورة الفرنسية كانت تعني لهم خسارة حليف مهم يتمثل في فرنسا .

اعلان بلنتز والحرب على النمسا وبروسيا

بدأت بوادر التدخل الخارجي ضد الثورة الفرنسية في اب 1791 عندما اصدر امبراطور النمسا وملك بروسيا بيانا من مدينة بلنتز(تقع في اقليم سكسونيا بالمانيا) اعلنا فيه ان الاحداث في فرنسا تهم جميع الدول الاوربية، وانهما على استعداد للتدخل واعادة النظام والملكية المطلقة الى فرنسا ،

وفي 7 شباط 1792 وقعت النمسا وبروسيا حلفا عسكريا، وبعد ذلك مباشرة ارسل انصار النظام القديم المتمركزون في مدينة كوبلنتس منشورا توعدوا فيه زعماء الثورة الفرنسية بالعقاب الصارم .

هكذا بدا خطر الحرب يقترب وكانت جميع التكتلات السياسية في فرنسا تعلم جيدا بان انتصار فرنسا او هزيمتها في الحرب، هو انتصار او هزيمة لهذه التكتلات نفسها، ومع ذلك فان موقف هذه التكتلات السياسية من الحرب كان مختلفا، فانصار النظام القديم وعلى راسهم الملك كانوا يرحبون بالحرب لانهم كانوا يعتقدون بان فرنسا ستخسرها الامر الذي سيمكنهم من اعادة الملكية المطلقة اما الجيروندیون فقد كانوا يؤيدون اعلان الحرب على النمسا وكانت وجهة نظرهم ان الحرب كفيلة باثارة حماسة فرنسا للنظام الجمهوري واتاحة الفرصة لاسقاط الملكية، والى جانب هؤلاء ايد المحافظون بزعامة لافاييت فكرة الحرب وكانت وجهة نظرهم بان النصر العسكري سيجمع صفوف الشعب الفرنسي في ولائه للدستور، اما اليعاقبة فقد عارضوا فكرة الحرب وكانت وجهة نظر اليعاقبة ان النصر المباشر في الحرب سيكون بعيد الاحتمال، وان عواقب تلك الحرب لن تصب في صالح الثورة الفرنسية سواء في فرنسا او اوربا.

اعلن لويس السادس عشر، الحرب على النمسا في 20 نيسان 1792 وتولى لافاييت قيادة الجيش الفرنسي، وقد هيأت النمسا وبروسيا جيشا قوامه 80000 جندي لغزو فرنسا، واسندت قيادة هذا الجبش الى دوق برونزويك، وكانت الملكة ماري انطوانيت على، ما يذكره بعض المؤرخين، قد اعطت للنمسا قبل ذلك خطة الحملة الفرنسية، ولهذا اندحر الجيش الفرنسي، واخذت القوات الفرنسية بالتراجع، وتقدمت جيوش الحلفاء بقيادة دوق برونزويك نحو العاصمة باريس ، وقد نسبت الجماهير هذه الهزيمة الى خيانة الملك وتدبيراته الامر الذي ادى الى قيام مظاهرات كبيرة في باريس يوم 20 حزيران 1792 في الذكرى السنوية لقسم ساحة التنس، هوجم خلالها قصر التويلري واهين الملك والملكة ولكنهما لم يصابا باذى، وفي 25 تموز 1792 وجه دوق برونزويك بيانا الى الشعب الفرنسي اعلن فيه بانه سيدمر باريس تدميرا تاما في حالة تعرض الملك لاية اهانة اخرى، ولكن هذا البيان الذي اريد له ان يخيف الشعب الفرنسي كان على العكس قد اثار غضب الفرنسيين وكان رد فعل الشعب الفرنسي على بيان دوق برونزويك هو القيام بانتفاضة في باريس يومي 9 و 10 اب

1792 ضد الملكية الدستورية، وقد تم خلال الانتفاضة اقامة كومونة باريس الثورية بدلا من الكومونة الشرعية، واصبح دانتون ابرز شخص فيها، كما هوجم قصر التويلري فلجأ الملك وافرد اسرته الى قاعة الجمعية التشريعية، وقد توجه المتظاهرون الى الجمعية التشريعية وطالبوا بخلع الملك واعلان الجمهورية، فقرر اعضاء الجمعية التشريعية، ايقاف الملك عن ممارسة صلاحياته واجراء انتخابات فورية عن طريق التصويت العام للذكور وذلك لانتخاب مؤتمر وطني يعد دستورا جديدا لفرنسا وكذلك يقرر شكل الحكم في فرنسا.

استمرت حالة الفوضى في باريس، وكان الموقف العسكري ينذر بالسوء فقد سلم لافاييت نفسه الى النمساويين ، واستمر تقدم قوات الحلفاء باتجاه باريس، ومع وصول نبا محاصرتهم مدينة فردان في 2 ايلول 1792 والتي تعد، بمثابة مفتاح العاصمة باريس الشمالي، بدأت حملة اعدامات بين مؤيدي الملكية في العاصمة باريس، وقد ترواح عدد من نفذ فيهم حكم الاعدام ما بين 1500 و 2000 شخص، واستمرت حملة الإعدامات هذه خمسة ايام، من جهة اخرى فقد ثار نبا محاصرة الحلفاء لمدينة فردان الحماس لدى الشعب الفرنسي للقتال والدفاع عن العاصمة باريس فبادرت الجماهير الى التطوع لقتال الغزاة الاجانب على نطاق واسع واخذت فرق المتطوعين تتشكل بكثرة وسرعة، وفعل الحماس الوطني فعله في تحسين الموقف العسكري الفرنسي ، ففي 20 ايلول 1792 نجحت القوات الفرنسية بقيادة ديموريه، الذي حل محل لافاييت، في وقف تقدم الحلفاء باتجاه العاصمة باريس في معركة فالمي، وعلى الرغم من صغر حجم تلك المعركة الا انها تعد من اهم معارك التاريخ حيث انقذت افكار الثورة الفرنسية من الضياع وحالت دون سقوط العاصمة باريس ورفعت الروح المعنوية للفرنسيين وتحول جيش الثورة بعدها من الدفاع الى الهجوم واصبح مصدر رعب للدول الاوربية فيما بعد

المؤتمر الوطني

بعد الانتصار في فالمي حلت الجمعية التشريعية نفسها وانتخب مكانها لادارة شؤون فرنسا وتقرير مصير النظام الملكي مجلس جديد هو المؤتمر الوطني، وعقد اولى جلساته يوم 21 ايلول 1792 وكان عدد اعضاء المؤتمر 750 عضوا اغلبهم من الذين اطلقوا على انفسهم اسم المحايدين اي

الذين لا ينتمون الى اي من الحزبين المتنافسين في المؤتمر ونعني الجيروندبين واليعاقبة ، وقد شكل الجيروندبين في المؤتمر حزب المعتدلين اما اليعاقبة فقد اطلق عليهم اسم (حزب الجبل)، وعلى الرغم من ان اليعاقبة كانوا اقل عددا من الجيروندبين في المؤتمر الوطني لكنهم كانوا اكثر تاثيرا في الراي العام وذلك لانهم اكثر ارتباطا بالشعب وبجمهور باريس الذي كانت له اليد الطولى في اثارة الشارع في فرنسا ولذلك سيطر اليعاقبة المعروفين بعدائهم الشديد للمكلية على قرارات المؤتمر الوطني وكان من اهم قرارات المؤتمر الوطني في جلسته الاولى هو الغاء النظام الملكي ثم اعلان الجمهورية في 22 ايلول 1792 ، كما تقرر ايضا محاكمة لويس السادس عشر ، وفي 11 كانون الاول 1792 بدات محاكمته امام المؤتمر الوطني حيث وجهت اليه تهمة التآمر على سلامة الامة والتواطؤ مع الدول الاجنبية المعادية لفرنسا، وحكم على الملك لويس السادس عشر بالاعدام بالمقصلة ، لقد عارض الجيروندبين اعدام لويس السادس عشر خوفا من استثارة الدول الكبرى ، لكن ذلك لم يكن مجديا فقد نفذ فيه حكم الاعدام يوم 21 كانون الثاني 1793 وكان وراء ذلك اليعاقبة الذين وجدوا ان التعجيل باعدام لويس السادس عشر سيكون وسيلة لارهاب انصاره الذين بداوا ينشطون بشكل ظاهر ضد الثورة التي تصاعدت حماسة جماهيرها عندما بدات الجيوش الفرنسية تحقق الانتصارات بعد معركة فالمي حيث احتل الفرنسيون بلجيكا وولايات الراين وسافوي، وقابلت شعوب هذه المناطق الفرنسيين بحماس وفرح واعتبرتهم منقذين لهم من النير الاقطاعي واعلن المؤتمر الوطني انه على استعداد لمساعدة كل امة تطالب بحريتها وتريد التخلص من حكامها.

ادى اعدام الملك لويس السادس عشر وهيمنة اليعاقبة على مقاليد السلطة في فرنسا الى مضاعفات خطيرة في الداخل والخارج ، ففي الداخل قامت العناصر الموالية للملكية بشن حرب اهلية في اقليم لافانديه كما حصلت اضرابات في مدن ليون ومرسيليا وطولون ، اما في خارج فرنسا فقد تشكل التحالف الدولي الاول ضد الثورة الفرنسية بانضمام كل من بريطانيا وهولندا واسبانيا الى جانب النمسا وبروسيا ضد فرنسا ، وقد تمكن هذا التحالف من الحاق الهزائم بالجيش الفرنسي الذي اضطر الى الانسحاب من المناطق التي احتلها وتراجع الى داخل الحدود الفرنسية، واجتازت قوات الحلفاء الحدود الفرنسية وبدات تضغط على القوات الفرنسية المتعبة والسيئة التسليح .

اثبتت الجمهورية الفرنسية كفاءة وقوة في مواجهة هذه التحديات الداخلية والخارجية، ففيما يتعلق بمواجهة الخطر الخارجي تم اولا اسناد القيادة العسكرية الفرنسية الى كارنو الذي عرف بحنكته وقدرته في تنظيم الجيش ورسم الخطط الحربية ، وفي اب 1793 اصدر المؤتمر الوطني قانونا يقضي بتجنيد كل فرنسي بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين من العمر ومع نهاية عام 1793 اصبح تحت قيادة كارنو 770000 جندي تحت السلاح وكان معظمهم من المتحمسين لقضية الثورة ، في حين كان عدد الجيش الفرنسي قبل 1793 اقل من 20000 وكانت جيوش الدول الاوربية الاخرى صغيرة نسبيا، وبعد سلسلة من الحملات العسكرية الناجحة اضطرت بروسيا وهولندا واسبانيا الى الانسحاب من الحرب وبقيت بريطانيا والنمسا وحدها حاملة السلاح ضد الجمهورية الفرنسية .

اما بالنسبة للتحديات الداخلية، فان اليعاقبة قرروا مواجهتها بالقوة والارهاب والذي استمر عاما كاملا من صيف 1793 الى صيف 1794 وهو ما عرف بعهد الارهاب، وقد اسندت السلطة التنفيذية العليا في فرنسا خلال تلك المدة الى لجنة خاصة مؤلفة من تسعة اشخاص (صاروا اثني عشر فيما بعد) سميت لجنة الانقاذ العام برئاسة دانتون زعيم اليعاقبة المتطرفين، وكانت تتبع لجنة الانقاذ العام عدة اجهزه اهمها، لجنة الامن العام ومحكمة الثورة، وقد منحت لجنة الامن العام سلطة بوليسية واسعة للمحافظة على النظام في جميع انحاء فرنسا، كما منحت محكمة الثورة سلطة محاكمة وادانة اي شخص يشتبه بعدم ولائه للجمهورية الفرنسية، وقد بلغ عدد من صدرت بحقهم احكام الاعدام قرابة 17000 الف منهم 5000 الاف من العاصمة باريس من بينهم الملكة السابقة ماري انطوانيت، وقد اثارت الاعتقالات والإعدامات التعسفية الخلافات بين أهم فصيلين سياسيين بالمؤتمر الوطني، حيث عارض النواب الجيروندیون تصرفات رفاقهم اليعاقبة الداعية للتخلص من كل شخص يشتبه بمعارضته للجمهورية، وازدادت حدة الخلاف بين الطرفين بعد عملية اغتيال مارا، أحد ابرز قادة اليعاقبة، من قبل امرأة متعاطفة مع النواب الجيروندیين، لذلك قرر اليعاقبة التخلص من النواب الجيروندیين ووجهت اليهم تهمة الخيانة العظمى وارسل العديد منهم الى المقصلة في حين هرب القسم الاخر الى خارج فرنسا .

عهد الارهاب : وهي فترة مليئة بالعنف شهدتها فرنسا بعد اندلاع الثورة الفرنسية استمرت مدة عام تقريبا من صيف 1973 الى صيف 1794 وارتبط باسم احد مهندسي الثورة الفرنسية روبسبير وقد

اتسمت تلك الفترة بأحكام الإعدام الجماعية لمن وصفوا بأنهم أعداء الثورة والتي راح ضحيتها الآلاف بعد أدانتهم من خلال قانون المشتبه بهم والذي صدر في 17 ايلول 1793 والذي اتاح حبس ومحاكمة كل من كان يبدو فاقدا للاقتناع الثوري.

ان استمرار الارهاب ادى الى انقسام اليعاقبة انفسهم، وبالتالي اصبحوا هم انفسهم ضحية الارهاب الذي بدأوه، فقد برز فريق بزعامة دانتون يدعو الى العودة الى سياسة الاعتدال، وفريق اخر بزعامة روبسبير كان مؤيدا لاستمرار سياسة الارهاب، لقد كان روبسبير يرى انه لا يمكن حماية الثورة والجمهورية الا بضرب اعدائها في الداخل، وكان شديد الايمان بالثورة ، ولم بقيل اي نقاش او نقد لتصرفاته ، وشعر روبسبير انه مهدد ما دام دانتون على قيد الحياة، وهكذا سرعان ما تم اعتقال دانتون في 31 اذار 1794 وحكم عليه بالاعدام بالمقصلة يوم 5 نيسان 1794، واصدر روبسبير قانونا ينص على حرمان اعضاء المؤتمر الوطني من حصانتهم البرلمانية، ولهذا قرر اغلب اعضاء المؤتمر الوطني التخلص من الطاغية روبسبير، فتم تجهيز قوة عسكرية اقتحمت دار البلدية – حيث كان يجتمع روبسبير مع أعوانه – و نجحت إحدى الرصاصات التي أطلقت عليه في إصابة فكه، وتمت محاكمته وأدين بتهمة الخيانة العظمى، واعدم بالمقصلة في 29 تموز 1794

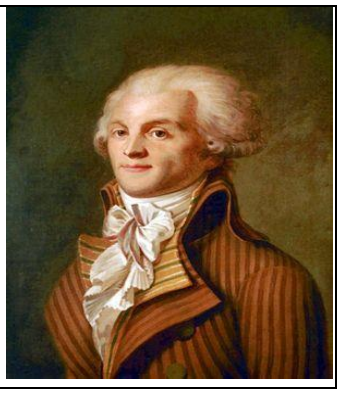

ماكسيمليان روبسبير محام وزعيم سياسي فرنسي ولد عام 1758، واصبح احد اهم الشخصيات المؤثرة في الثورة الفرنسية ، انتخب رئيسا لحزب اليعاقبة وازدادت شعبيته كعدو للملكية ونصير للجمهورية كان من اشد المطالبين باعدام الملك لويس السادس عشر، ثم اصبح عضوا في لجنة الانقاذ العام بل وسيطر عليها بعد أن تخلص من جميع منافسيه، وعلى رأسهم دانتون ليصبح بذلك الزعيم الأوحد في فرنسا،ارتبط اسمه بعهد الارهاب الذي استمر تقريبا عاما كاملا في فرنسا ، القي القبض عليه ثم اعدم بالمقصلة في 29 تموز 1794

جورج دانتون : زعيم ثوري فرنسي محامي وخطيب بارع كان شخصية بارزة في المراحل المبكرة من الثورة الفرنسية وأول رئيس للجنة الانقاذ العام يصفه العديد من المؤرخين بأنه القوة الرئيسية في الاطاحة بالملكية وتأسيس الجمهورية الفرنسية الأولى اختلف مع روبسبير بسبب رفض دانتون لسياسة روبسبير ومطالبته بإنهاء ما سمّاها عمليات الإعدام التعسفية للفرنسيين، اعتقل في مارس 1794 ووجهت اليه تهم بالخيانة ومساندة الملكية وإبرام صفقات مع أعداء الوطن، أثناء فترة المحاكمة، رفض دانتون كل هذه التهم الموجهة إليه، مؤكدا أنها ملفقة من روبسبير بهدف التخلص منه، اعدم بالمقصلة يوم 5 نيسان 1794 .

دستور 1795 (دستور السنة الثالثة)

انتهى عهد الارهاب بسقوط روبسبير وسيطر المعتدلون وانصار دانتون على مقاليد السلطة وتم بعد ذلك الغاء كومونة باريس الثورية واغلاق نادي اليعاقبة، وسمح للجيروندبين الذي تركوا فرنسا في عهد تسلط اليعاقبة بالعودة اليها، ورغم ما قيل عن العهد الارهابي فانه قد انقذ فرنسا من اخطار خارجية وداخلية كام من الممكن ان تؤدي بالجمهورية الى الانهيار ، كما ان المؤتمر قد انجز الكثير من الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية منها وضع القانون المدني الفرنسي وفرض التعليم الاجباري اضافة الى تاسيس متحف اللوفر، وقد وجد المؤتمر الوطني بعد سقوط روبسبير وانهاء الارهاب ان الاوضاع الجديدة تتطلب سن دستور جديد تم انجازه اواخر سنة 1795 عرف بدستور السنة الثالثة، وقد نص الدستور على ان تتالف السلطة التشريعية من مجلسين هما مجلس الخمسمائة من نواب تزيد اعمارهم على الثلاثين عاما ومجلس الشيوخ ويتكون من 200 عضو تزيد اعمارهم على الاربعين عاما ومنح مجلس الشيوخ حق الاعتراض على التشريعات التي يقرها مجلس الخمسمائة وذلك لمدة عام واحد، ونص الدستور على ان يكون على راس الدولة لجنة مؤلفة من خمسة اعضاء ، وتغيير عضو واحد منهم كل عام ، وقد عرفت هذه اللجنة باسم حكومة الادارة ، ويجري انتخاب هؤلاء

الخمسة من قبل الهيئة التشريعية وهم الذين يعينون وزراء الدولة ويشرفون على تنفيذ القوانين ، وفي 26 تشرين الاول 1795 انتهى عهد المؤتمر الوطني وبدا عهد حكومة الادارة .

حكومة الادارة

استمرت حكومة الادارة حتى عام 1799 واجهت خلالها بعض المشاكل الداخلية لكن الانتصارات التي حققها الجيش الفرنسي في الحرب الخارجية قد غطى على هذه المشاكل ، ففرنسا كما ذكرنا كانت ما تزال في حالة حرب مع النمسا وبريطانيا، وقد ارتات حكومة الادارة ان تبدا بمهاجمة النمسا وقد برز في هذه الحرب اسم القائد الشاب نابليون بونابرت الذي قاد حملة عسكرية عبر جبال الالب وايطاليا الشمالية حتى فينا عاصمة الامبراطورية النمساوية في سنة 1796 ونجح نابليون في تنفيذ ما اسند اليه من مهمات حيث وصل مشارف فينا فطلبت النمسا الصلح وتم لها ذلك في معاهدة كامبوفورميو في 17 تشرين الاول 1797 .

ادت الانتصارات الفرنسية في ايطاليا الى انهيار التحالف الاوربي الاول الذي تشكل ضد فرنسا ولم يبق شاهرا السلاح ضدها سوى بريطانيا، وقد فكرت حكومة الادارة بغزو بريطانيا واجبارها على توقيع الصلح، غير ان نابليون لم يكن يعتقد بامكانية نجاح الحملة بسبب انفصال بريطانيا عن اوربا جغرافيا وتحصنها كجزيرة في البحر فضلا عن امتلاك بريطانيا اقوى اسطول بحري في ذلك الوقت، واشار نابليون على حكومة الادارة ومعه وزير الخارجية تاليران بغزو مصر، من اجل قطع الطريق على بريطانيا الى مستعمراتها في الهند مما يؤثر اقتصاديا بل وحتى عسكريا عليها ، فاقرت حكومة الادارة هذا المشروع واقلعت الحملة الفرنسية باتجاه مصر عام 1798، ولم تحقق الحملة الفرنسية على مصر هدفها ، كما ان حكومة الادارة اصبحت في وضع حرج بعد تشكيل تحالف جديد ضد فرنسا ضم كلا من بريطانيا والنمسا وروسيا وعرف بالتحالف الاوربي الثاني، وتمكن هذا التحالف الجديد من انزال هزائم عديدة بالجيش الفرنسي، وقد دفع هذا الامر نابليون بونابرت الى مغادرة مصر عائدا الى فرنسا، والتي وصلها في 16 تشرين الاول 1799 ، وكانت حكومة الادارة تنتظره لمواجهة الخطر الخارجي، لكن نابليون بعد عودته وجد ان الاوضاع قد تدهورت في غيابه لان اعضاء حكومة الادارة اهملوا امور البلاد، وكانت الخزينة فارغة والبطالة منتشرة وطرق المواصلات في فرنسا

محفوفة بالخطر الى حد ان واللصوص سرقوا حتى بعض امتعة نابليون عند رجوعه الى باريس فقرر نابليون بالتعاون مع الاب سييز الاطاحة بحكومة الادارة وفي 10 تشرين الثاني 1799 (المصادف 18 بروميير حسب التقويم الثوري لفرنسا) ارغم نابليون حكومة الادارة على الاستقالة والغى دستور سنة 1795، واعلن دستورا جديدا لفرنسا وعرف هذا التغيير في التاريخ **بانقلاب بروميير** وقد نص دستور فرنسا الجديد لسنة 1799 والذي عرف بدستور السنة الثامنة، على وضع السلطة التنفيذية قي يد هيئة من ثلاثة اعضاء يعرفون بالقناصل ينتخبون بواسطة مجلس الشيوخ لمدة عشر سنوات واصبح نابليون بموجب هذا الدستور قنصلا اول يتمتع بكافة الصلاحيات التي تعطى عادة لرؤساء الجمهوريات او الملوك بل تجاوزها الى اكثر من ذلك ، فهو الذي يعين الوزراء وكبار الموظفين ويعلن الحرب ويبرم المعاهدات يضاف الى هذا ادارته للجيش والحكومة والشؤون الخارجية اما القنصلان الاخران فكانا يساعدانه في هذه المهام، وقد وافق الشعب الفرنسي على منح نابليون هذه الصلاحيات المهمة لانه اعتبر رجل الساعة في وقت كانت فيه فرنسا تواجه خطر الحرب الخارجية مرة اخرى، وفي عام 1802 وافق الشعب الفرنسي على تعيينه قنصلا مدى الحياة وتخويله حق تعيين خلفه، وتغيير الدستور تغييرا يطلق يده في الحكم، وفي 2 كانون الاول 1804 توج نابليون بونابرت امبراطورا على فرنسا باسم نابليون الاول امبراطور الفرنسيين، هكذا حل في فرنسا عهد جديد يبتعد في الكثير من مظاهره عن مبادئ الثورة الفرنسية فعلى الرغم من ادعاءات نابليون وتاكيداته المستمرة بانه الابن البار للثورة الفرنسية وانه جاء ليطبق مبادئ الثورة ورغم ان حروبه وانتصاراته في اوربا ادت بالفعل الى نشر تلك المبادئ بين شعوب القارة الا ان الحكم الذي اقامه في فرنسا كان حكما فرديا بعيدا عن المبادئ الديمقراطية التي اعلنتها الثورة .

عهد نابليون بونابرت 1799 – 1814

حياة نابليون

ولد نابليون بونابرت في مدينة اجاكسيو في جزيرة كورسيكا في 15 اب 1769، وهو من اصل ايطالي، وقد اشترت فرنسا جزيرة كورسيكا من ايطاليا عام 1768 اي قبل مولد نابليون بعام لذا ولد نابليون فرنسيا من اصل ايطالي، انهى دراسته العسكرية عام 1785وعين برتبة ملازم اول في سلاح المدفعية للجيش الفرنسي، وكان من المؤمنين بالثورة والدفاع عنها، وبرزت موهبته العسكرية عندما قاد الحملة الفرنسية على ايطاليا وكذلك الحملة الفرنسية على مصر، ونجح نابليون عام 1799 باسقاط حكومة الادارة فيما عرف بانقلاب بروميير 18 تشرين الثاني 1799 والغى دستور عام 1795 ووضع دستورا جديدا لفرنسا والذي اصبح نابليون بموجبه القنصل الاول في فرنسا وبذلك تركزت السلطة الفعلية في يديه .

نابليون بونابرت عهد القنصلية 1799-1804

السياسة الخارجية

ورث نابليون عن حكومة الادارة مشاكل خارجية تتعلق بالتحالف الاوربي الثاني المكون من بريطانيا وروسيا والنمسا، وكانت روسيا قد انسحبت من التحالف بعد وصول القيصر بول الاول الى الحكم في روسيا اذ كان معجبا بشخصية نابليون، ولعجزه عن قتال بريطانيا بحرا قرر نابليون توجيه ضربته للنمسا والتي الحق بها هزيمة كبيره واضطرت الى التوقيع على **معاهدة لونفيل:** هي معاهدة وقعت في اذار 1801 بين فرنسا والنمسا وبموجب هذه المعاهدة انسحبت النمسا من ايطاليا بشكل نهائي واعترفت بالجمهوريات التي اقامها نابليون في ايطاليا وهولندا وسويسرا، كما اعترفت النمسا بنظرية الحدود الطبيعية التي تبنتها فرنسا والتي تقول ان الراين مضافا اليه بلجيكا هو الحد الطبيعي

والجغرافي لفرنسا، وبهذا اصبحت جميع الولايات الالمانية الواقعة على الضفة اليسرى من الراين جزءا من فرنسا بعد ان تنازلت عنها النمسا .

بعد هزيمة النمسا بقيت بريطانيا لوحدها تقاتل فرنسا، عندئذ بدات بريطانيا بالمفاوضات لاجل الصلح مع فرنسا وانتهت تلك المفاوضات بالتوقيع على **صلح اميان:** وقع هذا الصلح بين بريطانيا وفرنسا عام 1802 وبموجب هذا الصلح اعترفت بريطانيا بحدود فرنسا الطبيعية اي بضم بلجيكا واراضي الضفة اليسرى لنهر الراين، ووافقت بريطانيا على بقاء النفوذ الفرنسي في ايطاليا وان تعترف بما اجراه فيها نابليون من تغييرات وما اقامه من جمهوريات موالية لفرنسا وبالمقابل تعهدت فرنسا بالانسحاب من مصر وكذلك الانسحاب عن نابولي وعن الاراضي البابوية

لقد كان صلح اميان يمثل قمة انتصارات نابليون في عهد القنصلية لانه حصل من بريطانيا على اعتراف شرعي وقانوني بزوال الملكية الفرنسية وبكل التغييرات التي حصلت في فرنسا منذ ذلك الوقت بما في ذلك قيام النظام الجمهوري وهي امور طالما رفض الانكليز الموافقة عليها والاقرار بشرعيتها، ولعل اهم مكاسب نابليون هو انه جعل الحكومة البريطانية تعترف بحدود فرنسا الطبيعية الممتدة حتى ضفاف نهر الراين وهو امر طالما رفض الانكليز القبول به وقد ذهبوا الى الحرب منذ ايام لويس الرابع عشر اكثر من مرة من اجل ان لا تصبح بلجيكا ذات الشواطئ المقابلة للساحل البريطاني تحت السيطرة الفرنسية .

السياسة الداخلية (اصلاحات نابليون الداخلية)

1- اعاد نابليون تنظيم البلاد اداريا بموجب قانون اصدره في17 شباط 1800 تبنى فيه التقسيم الاداري القديم الذي وضعته الجمعية الوطنية في مطلع عهد الثورة، لكنه جعل من حق القنصل الاول تعيين حكام المقاطعات بدلا من انتخابهم من قبل المواطنين، واوجد نابليون بجانب هؤلاء الحكام مجالس استشارية محلية منتخبة تهتم بصورة خاصة بشؤون الضرائب والقضايا المالية وللحيلولة دون التجاوزات التي قد تصدر عن الادارات المحلية اوجد محاكم ادارية في المقاطعات تفصل فيما قد يقع من خلافات بين المواطنين والادارات الحكومية وبصورة موجزة فان نابليون اقام

حكما مركزيا يسمح للحكومة في باريس بان تدير _ بشكل مباشر ومن خلال حكام اداريين_ كل المقاطعات الفرنسية بحيث يتم اخضاع البلاد كلها لحكم واحد ونظم ادارية وسياسية واحدة، مع تامين الضمانات الديمقراطية للمواطنين من خلال المجالس الاستشارية المنتخبة والمحاكم الادارية .

2- تشريع القانون المدني للفرنسيين عام 1804 والذي يعد من اعظم انجازات نابليون الحضارية، وقد ضمن هذا القانون جميع الحريات التي اعطتها الثورة الفرنسية مثل حرية التفكير وحرية الراي وحرية العمل والتملك ، كما ضمن للفرنسيين المساواة والعدالة امام القانون .

3- وضع نابليون لفرنسا نظاما للضرائب المباشرة وغير المباشرة بحيث تكون محددة تحديدا عادلا ومعقولا، كما اسس نابليون مصرفا مركزيا وهو مصرف فرنسا الذي صار الهيئة الحكومية المالية للدولة، وقد اعطى للمصرف الحق الكامل في اصدار الاوراق المالية لكن تحت مراقبة الحكومة الصارمة، وبذلك بدى عهد من الاستقرار المالي لم تعهده البلاد منذ زمن بعيد، وقد اصدر مصرف فرنسا الفرنك الفرنسي الذي استخدم وحدة النقد الاساسي المستقرة في فرنسا لاكثر من قرن وما يزال ساريا في فرنسا حتى الان

4- نجح نابليون في ايجاد حل للنزاع بين الحكومة الفرنسية والكنيسة والتي نشات بعد اصدار القانون المدني لرجال الدين، فبعد مفاوضات طويلة مع البابا بيوس السابع نجح نابليون في عقد صلح الكونكوردات عام 1801، وبموجب هذا الصلح اعترفت الحكومة الفرنسية بالكنيسة الكاثوليكية وسيادتها الروحية على اغلبية الفرنسيين، وفي الوقت ذاته اعترفت البابوية بقوانين مصادرة املاك الكنيسة من قبل الثورة، على ان تتعهد الخزانة الفرنسية بدفع مرتبات رجال الدين، وان يقوم نابليون بترشيح الاساقفة بينما يقوم البابا باصدار اوامر تعيينهم، وبذلك اصبحت الكنيسة الفرنسية خاضعة للسلطات المدنية في فرنسا.

5- اولى نابليون اهتماما كبيرا بالتعليم واسس دار المعلمين العالية، كما اهتم نابليون بتحسين الاوضاع الاقتصادية وبنى عدد من الجسور المهمة ووسع العديد من الموانئ وبنى القصور وجمل باريس ووسع شوارعها الضيقة.

هكذا نجد ان عهد نابليون كقنصل اول بين 1799– 1804 كان عهدا ذهبيا في تاريخ فرنسا، واصبح نابليون محبوبا لدى الشعب الفرنسي بسبب اعماله لذلك اختاره الفرنسيون عام 1802 قنصلا عاما مدى الحياة وفي 18 مايس 1804 تقرر تسمية نابليون امبراطورا على فرنسا بعد استفتاء شعبي باغلبية 99 % من الاصوات وحضر البابا بيوس السابع الى باريس لتتويج نابليون امبراطورا على فرنسا في 2 كانون الاول 1804 في كنيسة نوتردام الشهيرة في باريس، وقد درست تفاصيل الاحتفال بعناية وتفادى نابليون الاعتراف باية سيادة للبابا فاخذ التاج من يديه ووضعه على راسه بنفسه.

حروب نابليون بونابرت عهد الامبراطورية 1804–1814

التحالف الاوربي الثالث

لم يدم صلح اميان الموقع بين فرنسا وبريطانيا اكثر من سنتين، والواقع كانت سنتين من الهدنة بين الدولتين اقتضاها موقف الدولتين انذاك ، وبدات الحالة عام 1804 تتازم بين فرنسا وبريطانيا نتيجة عزم نابليون واصراره على اخضاع الانكليز الذين لا يبعدون عنه سوى عدة اميال عبر بحر المانش الذي يفصل فرنسا عن بريطانيا، وبدأت فرنسا بالاستعداد لتوجيه ضربة عسكرية لبريطانيا وذلك بغزوها في عقر دارها، واخذت فرنسا بتهيئة كل ما له علاقة بالهجوم على بريطانيا ومنها تجميع الجنود الفرنسيين على شواطئ بحر المانش وتدريبهم اليومي على فنون الحرب البرمائية وبناء ناقلات الجنود البحرية وكان نابليون يشرف بنفسه على هذه الاستعدادات، وقد انضمت الى القوات الفرنسية قوات اوربية من المناطق الموالية لفرنسا مثل ايطاليا والمانيا وبلجيكا وهولندا وقد بلغ عدد الجنود الذين احتشدوا على السواحل الفرنسية المواجهة لبريطانيا 210 الف جندي، وقد اطلق نابليون عليه اسم جيش انكلترا وبالتاكيد فان بناء مثل هذا الجيش كان بحاجة الى اموال طائلة حصل عليها نابليون من خلال بيع لويزيانا الى الولايات المتحدة الامريكية بمبلغ 15 مليون دولار، لكن المشكلة التي واجهت نابليون هي ان الاسطول الذي كان نابليون يبنيه قبالة السواحل البريطانية كان يضم سفن مخصص بالدرجة الاساس لنقل الجنود وليست سفن حربية مخصصة للمعارك وبالتالي فان هذه السفن كان مهمتها عبور بحر المانش عبر القناة الانكليزية وليس الاشتباك مع الاسطول الانكليزي

وبالتالي كانت هناك ثغرة في خطة نابليون وهي ضرورة وجود سفن حربية مجهزة باسلحة ثقيلة لحماية السفن التي تنقل الجنود الفرنسيين عبر القناة الانكليزية، وكانت اغلب السفن الحربية التابعة للاسطول الفرنسي محبوسة في البحر المتوسط حيث كانت بريطانيا تفرض حصارا على البحر المتوسط لمنع السفن الفرنسية من عبور مضيق جبل طارق لتلتحق بالاسطول الفرنسي الموجود قبالة السواحل البريطانية لتامين عبور الجنود الفرنسيين للقناة الانكليزية.

كانت خطة نابليون هي أن تخترق السفن الفرنسية وحليفتها الاسبانية المتمركزة في البحر الأبيض المتوسط الحصار البريطاني وتلتحق بالسفن الفرنسية الصغيرة التي كانت تتمركز في بعض الموانئ على المحيط الاطلسي ثم تتجمع كافة الأساطيل لتطهير القناة الإنجليزي من السفن البريطانية لضمان مرور سفن الغزو الفرنسي إلى انجلترا.

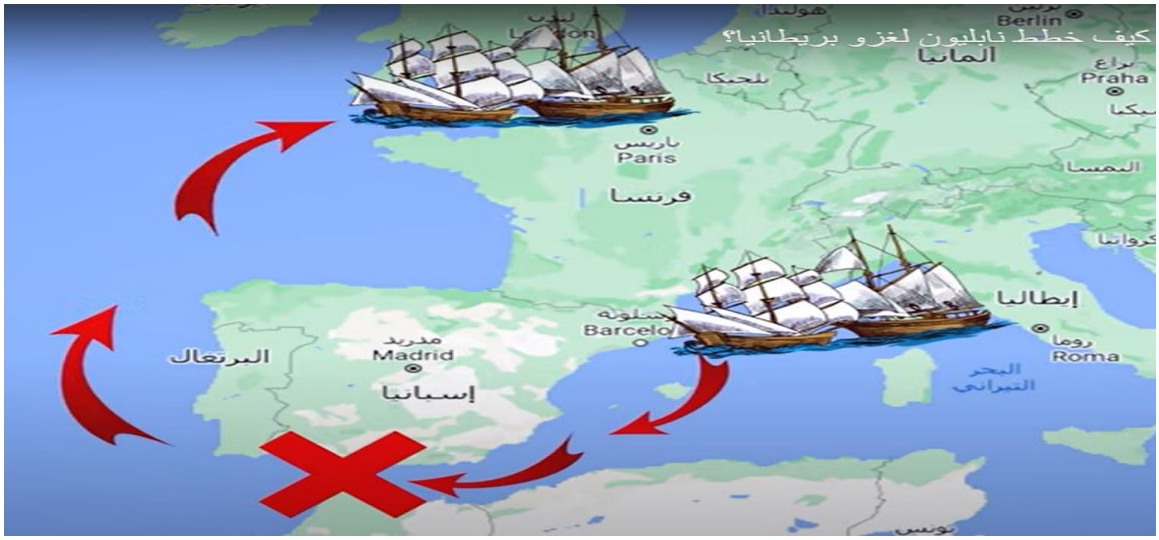

في هذه الاثناء نجحت بريطانيا بتشكيل تحالف اوربي جديد ضد فرنسا ضم كل من بريطانيا والنمسا وروسيا والسويد، وكانت لكل دولة من هذه الدول مآخذ على السياسة الفرنسية وعلى تصرفات نابليون فالنمسا كانت ترغب بالتخلص من معاهدة لونفيل ، اما روسيا فقد اغتيل القيصر بافل الاول وتولى الحكم الاسكندر الثاني الذي كان يرى في سياسة نابليون خطر على المصالح الروسية ، اما السويد فقد كانت غير راضية عن سياسة نابليون الرامية الى الهيمنة على شؤون غرب اوربا ، وقد عرفت الديبلوماسية البريطانية كيف تستغل مواطن الضعف عند هذه الدول وجرتها في صيف عام 1805 للتعاون معها واعلان الحرب على فرنسا، ولقد كان من المؤمل ان تنظم بروسيا لهذا التحالف الا انها فضلت الوقوف على الحياد بعد ان وعدها نابليون باعطائها ميناء الهانوفر الانكليزي، اما اسبانيا فقد كانت الحليف الوحيد لنابليون من بين القوى الاوربية الكبرى انذاك

عندما علم نابليون بقيام التحالف الاوربي الثالث ضده قرر ارسال بعض الجيوش التي كانت مرابطة في شمال فرنسا استعدادا لغزو بريطانيا وتوجيه ضربة سريعة للنمسا قبل ان تستكمل استعداداتها وقبل ان تصلها القوات العسكرية من حليفتها روسيا ثم العودة بسرعة لمواصلة تنفيذ خطة غزو الجزر البريطانية .تقدمت القوات الفرنسية صوب النمسا ودارت اول معركة بين الطرفين على نهر الدانوب عرفت باسم **معركة اولم:** وهي معركة دارت بين الجيش الفرنسي بقيادة نابليون والجيش النمساوي يوم 20 تشرين الاول 1805 وقد حققت القوات الفرنسية نصرا حاسما انهزم على اثره النمساويون مخلفين وراءهم خمسين الف اسير.

لقد وقعت معركة اولم قبل يوم واحد من **معركة الطرف الاغر:** وهي معركة بحرية دارت بين الاسطول البريطاني بقيادة الادميرال نلسون والاسطولين الفرنسي والاسباني بالقرب من الطرف الاغر على مسافة عشرين ميل من قاعدة الميناء الاسباني قادش يوم 21 تشرين الاول 1805 والتي دمر فيها الاسطول البريطاني الاسطولين الفرنسي والاسباني ، وقتل خلال المعركة الادميرال نلسون، وكانت من نتائج هذه المعركة انهيار حلم نابليون في غزو الجزر البريطانية، وكرست سيادة الاسطول البريطاني على البحار .

لقد كان الانتصار البريطاني في الطرف الاغر من اعظم الانتصارات البحرية التي حققتها بريطانيا وتخليدا لذكرى تلك المعركة اقامت بريطانيا في العاصمة لندن ميدان اسمته ميدان الطرف الاغر مع نصب تمثال للادميرال نلسون في قلب ذلك الميدان.

معركة اوسترليتز وتوقيع صلح برسبورغ

بعد هزيمتها في معركة اولم اتجهت الجيوش النمساوية المندحرة نحو الشرق للالتقاء مع الجيش الروسي القادم لنجدتها واعادة الهجوم ضد الفرنسيين، وقد التقت القوات الروسية والنمساوية في اوسترليتز شمال فينا لذلك قرر نابليون التحرك بشكل سريع لتوجيه ضربة خاطفة للقوات النمساوية والروسية ، ولما كانت الطريق الاقرب الى موقع اعدائه تقع في اراضي بروسيا المحايدة فان نابليون لم يتردد في اجتياز حدودها وخرق حيادها ، والحق هزيمة كبيرة في الجيشين النمساوي والروسي في معركة تعد من اشهر معارك التاريخ عرفت **بمعركة اوسترليتز** : وهي معركة وقعت يوم 2 كانون الاول 1805 بين القوات الفرنسية من جهة والقوات النمساوية والروسية من جهة اخرى وقد انتصر الجيش الفرنسي بقيادة نابليون في هذه المعركة والتي تعرف ايضا باسم معركة الاباطرة الثلاثة وكان من نتائج الانتصار الفرنسي في معركة اوسترليتز ان امبراطور النمسا سارع في اليوم التالي للمعركة

الى مقابلة نابليون واجرى معه مفاوضات الصلح والتي انتهت بالتوقيع مع نابليون على صلح برسبورغ.

صلح بروسبورغ: وهو صلح وقعته النمسا مع نابليون بعد هزيمتها في معركة اوسترليتز، ووقع هذا الصلح بتاريخ 16 كانون الاول 1805 وتضمن النقاط التالية:

1- تنازل النمسا عن ثلث مساحتها
2- اعترفت النمسا بنابليون ملكا على ايطاليا
3- اطلقت يد نابليون في المانيا وقد انشا نابليون اتحادا للدويلات الالمانية عرف باتحاد الراين وجعله مواليا لفرنسا ويتعهد بتقديم 70 الف مقاتل زمن الحرب
4- تنازل فرنسو الثاني عن لقب امبراطور النمسا والمانيا ليقتصر لقبه فقط على امبراطور النمسا

قوس النصر في باريس

اما روسيا فقد انسحبت من الحرب دون توقيع معاهدة صلح مع فرنسا، وعندما عاد نابليون الى باريس ومن اجل تخليد تلك الانتصارات التي حققها الجيش الفرنسي وخصوصا في معركة اوسترليتز قرر نابليون بناء قوس النصر الذي ما زال موجودا في العاصمة الفرنسية باريس

التحالف الاوربي الرابع

كان على نابليون بعد الانتصارات الكبيرة التي حققها على النمسا وروسيا ان يواجه بروسيا التي اتجهت الى روسيا وانكلترا والسويد لإقامة تحالف اوربي جديد ضد فرنسا وقد عرف هذا التحالف بالتحالف الاوربي الرابع ومن الاسباب التي دفعت بروسيا الى ذلك هي

1- اجتياز الجيوش الفرنسية الاراضي البروسية دون اذن منها عند تقدمها لقتال النمساويين والروس الامر الذي اثار غضب ملك بروسيا

2- ان انشاء اتحاد الراين وجعله مواليا لفرنسا قد قلص بشكل كبير النفوذ البروسي وجعلها تعاني من عزلة سياسية خانقة.

3- عدم وفاء نابليون بمنح بروسيا ميناء الهانوفر

اخذ نابليون زمام المبادرة في الحرب قبل ان يتمكن التحالف الجديد من جمع قواته ، وفي تشرين الاول 1806 هزم البروسيين وتقدم في الاراضي البروسية حتى احتل مدينة برلين ،واضطر الجيش البروسي المندحر بقيادة الملك التراجع باتجاه الحدود مع روسيا لكي يلتقي بالقوات الروسية التي تقدمت لنجدته ، لذلك قرر نابليون اللحاق بها وخاض مع الدولتين معركة فريد لاند في شباط 1807 وحقق فيها انتصارا كبيرا، وكان من نتائج هذه المعركة ان طالبت روسيا وبروسيا عقد الصلح مع فرنسا وقد عرف هذا الصلح باسم **صلح تلست:** وقع هذا الصلح في 8 تموز 1807 بين القيصر الروسي ونابليون وفيه فرض نابليون عقوبات شديدة على بروسيا منها حق التصرف في اراضيها، وفرض غرامة حربية باهظة عليها، وتحديد قواتها المسلحة ، والابقاء على قوات فرنسية في اراضيها، اما روسيا فقد تم الاتفاق على عدم خسارتها لأي جزء من اراضيها وتعهد نابليون بتقديم الدعم لروسيا لتحقيق هدفها في السيطرة على عاصمة الدولة العثمانية ومضيقي البسفور والدردنيل، مقابل تعهد القيصر الروسي بالانضمام الى فرنسا في تنفيذ الحصار القاري ضد بريطانيا، وبهذه الصورة يكون التحالف الاوربي الرابع قد انتهى ولم يبق امام فرنسا سوى بريطانيا والسويد وهذه الاخيرة كانت بعيد ولم تشكل خطرا على نابليون.

الحصار القاري

عندما اخضع نابليون اوربا كلها تقريبا لسيطرته وعجز عن بريطانيا عمد الى محاربتها اقتصاديا وارغامها على طلب عقد الصلح وبالتالي فرض شروطه عليها كما يريد. وعليه اصدر مراسيم برلين سنة 1806 التي حرم بموجبها على دول اوربا التعامل تجاريا مع بريطانيا ، كما حرم على السفن

البريطانية ان ترسو في اي ميناء اوربي . واعلن ان كل سفينة اوربية ترسو في ميناء بريطاني او موانئ مستعمراتها سوف تصادر بضائعها ، وستعتبر كل سفينة لا تلتزم بهذا الحصار واحدة من سفن الاعداء يحق للفرنسيين اغراقها وهكذا اعلنت روسيا وبروسيا والنمسا والسويد التزامها بمراسيم الحصار الاقتصادي على بريطانيا الذي اطلق عليه اسم الحصار القاري .

مقابل هذه المراسيم اصدرت بريطانيا قرارات من جانبها ايضا نصت على وجوب القبض على اي سفينة تتاجر مع فرنسا ففرض الاسطول البريطاني حصارا شديدا على موانئ الدول الاوربية التي التزمت بمراسيم برلين ومنعت الاتصال فيما بينها وكذلك بينها وبين مستعمراتها وسائر بلدان ما وراء البحار .

لقد واجه نابليون مشكلة عدم التزام جميع الدول الاوربية بالحصار القاري فقد استمرت البرتغال بعلاقاتها الاقتصادية مع بريطانيا مما جعل موانئها مراكز لتهريب المنتجات البريطانية الى اوربا .كذلك فان البابا في ايطاليا قد اعلن وقوفه على الحياد الامر الذي سهل ايضا في وصول البضائع البريطانية الى اوربا عبر الولايات التي يسيطر عليها البابا، ولم يتردد نابليون في نفي البابا سنة 1806 من ولاياته والقائه بالسجن وربط املاكه اداريا بالامبراطورية الفرنسية.وبخصوص البرتغال فقد قرر نابليون احتلالها وعقد مع رئيس وزراء اسبانيا اتفاقا يقضي بالسماح لقوات نابليون بالمرور عبر الاراضي الاسبانية لاحتلال البرتغال مقابل اقتسام فرنسا واسبانيا لاراضيها، ولم يجد الجيش الفرنسي صعوبة في احتلال البرتغال التي هرب ملكها الى البرازيل تاركا الجيش الفرنسي يحتل كل البلاد دون مقاومة فعلية .

لقد دفع هذا النصر الرخيص نابليون الى التفكير باحتلال اسبانيا وضمها الى امبراطوريته متجاهلا كونها بلد صديق وحليف له، ولعل اكتشاف نابليون ان المدن الساحلية الاسبانية كانت مصدرا اساسيا من مصادر تهريب البضاعة البريطانية كان احد الاسباب التي دفعته للتفكير باحتلال اسبانيا . بناء على ذلك عين نابليون الجنرال (مورا) قائدا للقوات الفرنسية المرابطة في اسبانيا (بعد احتلال البرتغال ترك نابليون بعض قواته في اسبانيا بحجة الدفاع عن شواطئ البرتغال) وكلفه باحتلال الاراضي الاسبانية، الا ان الامر لم يكن شبيها بالبرتغال اذ واجه الاحتلال الفرنسي لإسبانيا

مقاومة وطنية مسلحة حقق فيها الثوار الاسبان بدعم من البريطانيين انتصارات جزئية واضطرت القوات الفرنسية الى اخلاء العاصمة مدريد في تموز 1808 عندها قرر نابليون الذهاب بنفسه الى اسبانيا لإنقاذ الوضع المتدهور هناك، وعلى الرغم من نجاح نابليون في استرداد مدريد لكنه فشل في القضاء على الثورة الاسبانية بشكل نهائي بسبب رداءة الطقس ووعورة الطرق .

الحملة الفرنسية على روسيا 1812

لقد كانت العلاقات بين روسيا وفرنسا تتدهور بصورة مستمرة وتتجه بالبلدين نحو الكارثة وهناك سببين كانا وراء توتر العلاقات بين البلدين السبب الاول، هو ان نابليون لم يف بوعوده الى القيصر الروسي في تحقيق مطامعه في السيطرة على العاصمة العثمانية اسطنبول ومضيقي البسفور والدردنيل، والسبب الثاني يعود الى ان سياسة الحصار القاري قد اضرت بالاقتصاد الروسي بشكل كبير فروسيا بلد زراعي وكانت بحاجة الى المنتوجات الصناعية، اذ كانت تجارتها تعتمد على تصدير المواد الزراعية واستيراد المواد الصناعية فتاثرت التجارة الروسية وتدهورت مصالح التجار والزراع مما شكل ضغطا على القيصر اضطره سنة 1811 الى السماح بدخول البضائع الانكليزية الى بلاده فاعتبر نابليون هذا العمل خروجا على صلح تلست وعملا عدائيا.

استعد نابليون لضرب روسيا وهيأ جيشا بلغ تعداده 600 الف مقاتل وتقدم صوب روسيا التي كان جيشها يتألف من 250 الف مقاتل، ووقع اول صدام بين الطرفين في اب 1812 عند مدينة سمولنسك في منتصف الطريق بين الحدود والعاصمة الروسية موسكو، وقد انتصر الفرنسيون في هذه المعركة واحتلوا المدينة بينما انسحب الجيش الروس الى الداخل، وفي يوم 14 ايلول 1812 دخل نابليون الى العاصمة الروسية موسكو فوجدها خالية من سكانها الذين غادروها بعد احراق النيران فيها، وقد بقي نابليون مدة شهر كامل بانتظار ان يعرض عليه القيصر الصلح لكن الاخير لم يفعل ذلك واضطر نابليون الى الانسحاب والعودة الى فرنسا .

وفي طريق العودة مات مئات الإلاف من الجنود الفرنسيين بردا وجوعا بسبب قساوة شتاء ذلك العام، فضلا عن الهجمات التي كان يقوم بها الفلاحين والقوقاز عليهم خلال انسحابهم بحيث لم

يصل الى الحدود الروسية – البروسية سوى 100 الف جندي ، وعند وصوله الى بروسيا ترك جيشه هناك وعاد على وجه السرعة الى باريس ، لقد كان نابليون يخشى ان يؤدي نبا الكارثة الى ثورة شعبية خصوصا اذا ما عرفت الارقام الصحيحة لضحايا الحرب الروسية لذا كان نابليون يعتقد ان وجوده في باريس مهم لامتصاص النقمة والحيلولة دون حصول الاسوأ .

التحالف الاوربي الخامس ومعركة الامم (ليبزك)

بعد هزيمة الجيش الفرنسي في الحرب الروسية سارعت بروسيا الى عقد تحالف مع روسيا في شباط 1813 واعلنت الحرب على فرنسا في اذار 1813 وقد انضمت الى هذا التحالف النمسا وبريطانيا وقد عرف هذا التحالف بالتحالف الاوربي الخامس، قاتل نابليون التحالف الجديد بـ 200 الف مقاتل اكثرهم كان ينقصهم التدريب الكافي والخبرة العسكرية وانهزم نابليون في **معركة الامم :** تعرف هذه المعركة ايضا باسم معركة ليبزك بدات يوم 16 تشرين الاول 1813 ودامت ثلاثة ايام انهزم فيها نابليون امام قوات التحالف الاوربي الخامس واخذ يتراجع ليعبر نهر الراين الى حدود فرنسا القديمة ليتخذ موقف الدفاع من هناك، وتعتبر معركة معركة الامم من المعارك الفاصلة في التاريخ اذ قضت على سطوة نابليون خارج فرنسا وانهت صرح الامبراطورية الفرنسية .

واصلت الجيوش الاوربية بعد معركة الامم زحفها واجتازت الاراضي الفرنسية لتدخل باريس يوم 31 اذار 1814 اما نابليون الذي كان يريد مواصلة القتال فقد اضطر بعد ان اقنعه قادة جيشه بعدم جدوى المقاومة الى اعلان تنازله عن العرش وسافر الى جزيرة البا التي وافق الحلفاء على اعطائها له مع احتفاظه بلقب امبراطور، وفي قصر تاليران اجتمع الحلفاء المنتصرون واذاعوا بيانا الى الشعب الفرنسي دعوا فيه الى اعادة الملكية الى فرنسا، وجهت الدعوة الى الملك لويس الثامن عشر لاستلام السلطة، ووقعت الدول الاوربية المنتصرة مع فرنسا على **معاهدة باريس الاولى:** وقعت هذه المعاهدة يوم 30 ايار 1814 بين فرنسا والدول المنتصرة نصت على عقد مؤتمر دولي لتسوية المشاكل التي خلفتها حروب نابليون واختيرت العاصمة النمساوية فينا مقرا للمؤتمر، كما نصت المعاهدة على اعادة فرنسا الى حدودها السابقة قبل الثورة الفرنسية ولم تفرض المعاهدة اي غرامة حربية على فرنسا او قبول جيوش احتلال على اراضيهم .

لقد كانت بنود معاهد باريس الاولى تمتاز بالحكمة والاعتدال وكان القصد من ذلك ارضاء الفرنسيين ونزع فكرة الثورة والتمرد من رؤوسهم ومساعدة الملك الجديد على تثبيت دعائم عهده.

عودة نابليون الى فرنسا وحكم المائة يوم

اخذ لويس الثامن عشر بعد توليه الحكم يعود تدريجيا الى حكم فرنسا بالعقلية القديمة فوضع دستورا جديدا للبلاد اعلن نفسه بموجبه ملكا على فرنسا وفق نظرية الحق الالهي، كما اعاد للنبلاء حقوقهم ، ومنح ابناء النبلاء مناصب وامتيازات كبيرة ثم الغى علم الثورة الفرنسية واحل مكانه علم ال بوربون الابيض اللون مع زهرة الزنبق الصفراء،اما في المجال الاقتصادي فقد تازمت الامور وانتشرت البطالة قي صفوف العمال وصار الشعب يتمنى عودة نابليون، من جانب اخر فان الدول المنتصرة عقدت مؤتمرا في فينا لحل المشاكل التي خلفتها حروب نابليون في القارة الاوربية حسبما نصت عليه معاهدة باريس، الا انه سرعان ما دب الخلاف بين روسيا وبريطانيا حول اقتسام الغنائم اضافة الى الخلافات الاخرى المتعلقة بمصالح الدول الاوربية وقد شجعت اوضاع فرنسا الداخلية وهذه الخلافات نابليون على اتخاذ قرار العودة الى فرنسا.

غادر نابليون منفاه في جزيرة البا سرا في شباط 1815 ونزل الاراضي الفرنسية حيث استقبل من قبل الفرنسيين استقبال الابطال فسارع لويس الثامن عشر الى ارسال جيش للقبض عليه لكن الجيش حالما رأى امبراطوره بلباسه العسكري وقبعته المشهورة حياه هاتفا (يحيا الامبراطور) ففر لويس الثامن عشر الى بلجيكا ودخل نابليون باريس في 20 اذار 1815 .

عندما علم مندوبو الدول المجتمعون في فينا بعودة نابليون اصدروا بيانا مشتركا اعتبروا فيه نابليون عدوا للعالم ودعوا شعوب اوربا لمحاربته والقضاء عليه، ثم بدأت الجيوش الاوربية تتجمع في بلجيكا للزحف على باريس وبالمقابل جمع نابليون جيشا فرنسيا تعداده 160000 الف مقاتل وقرر ان يبادر بالهجوم على الجيشين البريطاني والبروسي اللذين كانا قد وصلا الى بلجيكا قبل غيرهما من الجيوش الاخرى مستفيدا من الوقت قبل ان تجتمع كل الجيوش وفي 18 حزيران 1815

دارت واحدة من اعظم المعارك في التاريخ عرفت بمعركة واترلو (نسبة الى قرية واترلو البلجيكية التي دارت بها المعركة) وعلى الرغم من الشجاعة النادرة التي قاتل بها نابليون لكنه انهزم في تلك المعركة تاركا خلفه ثلاثين الف قتيل، ومنذ ذلك التاريخ 18 حزيران 1815 انتهى عهد نابليون بنهاية المائة يوم الاخيرة من حكمه وحملته مدمرة بريطانية الى جزيرة سانت هيلانه ليسجن هناك حتى وفاته في 5 ايار 1821 .

اما الحلفاء فقد دخلوا الى العاصمة الفرنسية باريس للمرة الثانية في 7 تموز 1815 ومعهم لويس الثامن عشر، وفرض الحلفاء على فرنسا معاهدة ثانية عرفت **بمعاهدة باريس الثانية:** هي المعاهدة التي فرضها الحلفاء على فرنسا في 20 تشرين الثاني 1815 والتي تضمنت فرض غرامة حربية على فرنسا مقدارها 700 مليون فرنك ، فضلا عن الابقاء على 150 الف جندي من قوات الاحتلال في بعض المقاطعات الفرنسية لمدة خمس سنوات.